محاضرة الحضارة المصرية 1:

نشأة مصر القديمة:

كان للتطورات الحضارية التي حدثت في العصر الحجري الحديث وفي فجر التاريخ أثراً كبيراً في ظهور الحضارة والدولة المصرية، فقد كثرت المدن وظهر الاختصاص في المهن، كما تشكلت تنظيمات سياسية ما لبثت أن تحولت إلى ممالك، وقد حاول كل ملك توسيع نفوذه.

وفي ذلك الوقت بدا واضح تشكل ممالك في الوجه البحري والوجه القبلي وكلا منهما كان يتميز بخصائص جغرافية مختلفة، فالوجه القبلي عبارة عن شريط ضيق من الأراضي الزراعية على جانبي النهر، تحف به هضبتان صخريتان من الشرق والغرب، أما الوجه البحري فتتسع أراضيه الزراعية إلى درجة كبيرة، وتكثر به المستنقعات وتتخلله البحيرات والقنوات، وهذه المساحات الواسعة من الأراضي الزراعية بعيدة في معظمها عن الصحارى. وكذلك يتميز الوجه البحري عن الوجه القبلي بأنه أقرب منه نسبيًا إلى آسيا وأوروبا، ولذا كانت الحضارات التي نشأت في كل من هذين الإقليمين تتسم بمظاهر خاصة تجعلنا نميز فيما بينهما، وتعد الفيوم أشبه بواحة في الصحراء بين هذين القسمين من مصر، ولكن نظرًا لأنها أقرب إلى الوجه البحري فقد اشتركت حضارتها في صفاتها مع حضاراته أكثر من اشتراكها مع حضارات الوجه القبلي.

اصول المصريين القدامى :

اختلف المؤرخون في أصول المصريين فمنهم من يقول بأن المصريون في الاساس ذوو بشرة داكنة مما يعني أن اصولهم قد تكون من جنوب وادي النيل وقد تبنى هذا الرأى الباحث السنغالي "انتا ديوب"، ويساند الباحث أراكل Arkell هذا الرأي بالإضافة إلىKeita الذي وجد تشابه بين ثقافة البداري وثقافات الجنوب، بينما يذكر بعض الباحثين أنهم أو على الاقل جزء منهم من أصول سامية أو أنهم من الشرق، ومن الذين تبنوا هذا الرأي كل من برنتون وكاتون Caton–Thompson، وفيٍ رأينا أنه لا توجد أدلة كافية تدعم هذا الرأي.

أما الرأي الأكثر ترجيحا فهو أن جزء كبير من المصريين قد يكونوا من أصول ليبية أو صحراوية فقد أدى الجفاف إلى هجرات سكانية من الصحراء باتجاه مصر، ونتج عن ذلك انتشار حضاري وثقافي باتجاه وادي النيل وهو ما انعكس أيضا على مصر في فترة ما قبل السلالات ومصر القديمة.

وكان مصدر تلك الهجرات الصحراء الليبية، فقد ذكر الباحث "فليندر بيتري "(flinders petrie) أنه بين 3300 و3000 قبل الميلاد قدمت هجرات ليبية كثيفة إلى مصر وساهمت بشكل كبير في تشكل حضارة مصر القديمة في جميع المجالات، ومنها الآلهة والأواني والأدوات، ويستدل على ذلك بتشابه شكل جماجم الأشخاص في مقبرة "سيتي الأول" وصور الرؤساء الليبيين في عهد "رمسيس الثاني".

ونحن لا نستبعد فرضية الأصول الصحراوية للمصريين فقد أظهرت اكتشافات حديثة للباحث "جون لوكيلاك " في منطقة الجلف الكبير وجود تشابه كبير في الرصيد الأسطوري بين هذه المنطقة ومصر القديمة، فقد جاء في كتاب الموتى الفرعوني: « أن أرواح الموتى يبتلعها الوحش»، وهذا الأمر هو ما تعبر عنه مشاهد منطقة الجلف الكبير، إذ يظهر في المشهد وحشٌ كبيرٌ يلتهم إنسانا كما يوجد في المشهد عدد من الموتى، بالإضافة إلى أشخاص ينظرون إلى الوحش، فهذه الأسطورة التي كتبها المصريين في "كتاب الموتى" توجد نسختها الأصلية في أقصى الجنوب الغربي لمصر، وهذه المنطقة فيها رسومات صخرية مشابهة لرسومات منطقة الطاسيلي والهوقار .

كما أن هناك دلائل أخرى على التأثيرات الصحراوية في الحضارة المصرية نجدها في العشرات وربما المئات من صور الأشخاص الأسطوريين والآلهة الصحراوية التي تشبه الآلهة المصرية، فصور الأشخاص الذين لهم رؤوس لحيوانات ابن آوى في الطاسيلي تشبه صور الاله "أنوبيس" في مصر.

ولم يكن الاله أنوبيس هو الوحيد من الآلهة المصرية التي لها علاقة بالصحراء، فالإله «آش» وهو أقدم إله في مصر يطلق عليه إله الصحراء الغربية،

ويعرف بسيد ليبيا" ويُمثل في الصور بكائن بشري برأس صقر، أما الاله "سيت" (Seth) وهو من الآلهة القديمة فيمثل في الصور برجل له راس "إن آوى"، بينما الاله "حورس"(Horus) مُثل أولا بحيوان في عهد الأسرة الأولى، ثم أصبح يُمثل برجل له رأس صقر في الأسرة الثالثة، ولعل تلك الأدلة هي التي جعلت الباحث بيار لوفاك (Pierre levèque) يقول: «أن الآلهة المصرية في العصر التاريخي ما هي إلا نتاج لثقافة الصيادين والرعاة في النيل والصحراء ».

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن المصريون القدامى قد كانوا من أصول متعددة ومن المرجح أن تطور ثقافات النيوليتي قد أدى إلى ظهور حضارة مصر القديمة.

العوامل التي ساعدت على قيام الحضارة الفرعونية:

تتمثل في المناخ المناسب ووفرة الموارد الطبيعية من الصخور والمعادن كالذهب والنحاس والحديد والفضة، كما أن لمصر موقع جغرافي ممتاز فهي ملتقى قارتين كبيرتين هما إفريقيا وآسيا، وهى تطل على بحرين مهمين هما البحر الأحمر والبحر المتوسط ومصر بمثابة القلب من العالم القديم، وحلقة الاتصال بين أقطاره وشعوبه، أيضاً تتمتع مصر بحماية طبيعية، ففي الشمال البحر المتوسط، وفى الشرق والغرب والجنوب تمتد الصحراوات الواسعة التي كانت دروعاً واقية ساعدت المصريين على الدفاع عن بلادهم، وجعلت مصر آمنة من الغزو لمدة تزيد عن ألف وخمسمائة سنة، وكذلك وجود الشلالات في نهر النيل، جعلت البلاد آمنة من غزو يأتيها عبر النهر، لكنه من أهم عوامل نشأة الحضارة في مصر هو وجود نهر النيل الذي حول مصر إلى جنة خضراء، وببنائهم للسفن في فترة مبكرة مما ساعدهم على تبادل المحاصيل ونشاط التجارة، وبفضل نهر النيل تعلم المصريين الزرع والحساب، والنظام، وشق القنوات وبناء الجسور وتشييد السدود، وقد كان المصريون يقدسون النهر ويعتبرونه إله يسمونه "حابي"، وقديما قال هيرودوت: " مصر هبة النيل".

مراحل تاريخ مصر القديمة :

1-عصر الأسرات المبكر او العصر العتيق 3600 -2780 ق.م

كان المصرين منذ عهد الدولة الحديثة يذكرون اسم "مينا" على انه اول ملوكهم وكانوا يكتبونه على جعارينهم، وقد ذكره هيرودوت ونص عليه مانيتون في كتابه، لكن لم يعثر على اسمه قائمة الملوك، ولكن عثر على اسم " نعرمر" الذي قد يكون هو نفسه "مينا"، وقد عثر على أثر له في مدينة "هيراكنوبولس" وهي منطقة الكوم الاحمر بادفو، يظهر فيه الملك وهو ينتصر على أعداءه في الحرب ويعتبره المؤرخون أول ملك من الاسرة الاولى.

الاسرة الاولى : 3600 – 2980 ق.م:

وقد نجح الملك "مينا" فى تحقيق وحدة مصر السياسية وأسس أول أسرة حاكمة، وقد كان ذلك في حوالي 3100 ق.م، ولكن من المرجح أن هناك حكام قبله قد حكموا مصر في كل من الوجه القبلي والبحري وحاولوا تحقيق الوحدة ، وقد حكم بعد مينا عدة حكام هم على التوالى: "عحا " والتي تعني المحارب، والملك "جر" الذي حدث في عهده تقدم فني وعمراني ثم الملك "جت " الذي ازدهرت البلاد في عهده، وخلفه الملك " دن "، ثم " سمرخت " الذي حدث في عهده صراع على العرش، وآخر ملوك هذه الاسرة هو الملك " قا– ع "، وقد تميزت الاسرة الاولى بأنها فرضت عبادة الاله حورس، وهو ما كان يثير عضب سكان الصعيد.

الاسرة الثانية : 2980– 2780 ق.م

تدعمت وحدة البلاد فى عهد الأسرة الثانية، وشهدت مصر تقدماً في جميع نواحي الحياة، كما تطور استعمال الكتابة المصرية القديمة التي سماها الإغريق "الهيروغليفية" وتعني الكتابة المقدسة[1] .

[1] الهيروغليفية: هي الكتابة المصرية القديمة تحدث بها المصريون وظلوا يستعملونها في كتاباتهم حتى فترات متأخرة ، فقد ارخت أخر الكتابات الهيروغليفية في 394 قبل الميلاد ،وهي التي وجدت في جزيرة فيلة بجنوب مصر، وقد مرت الكتابة المصرية بثلاث مراحل : الهيروغليفية ثم الهيرطاقية ، ثم الديموطيقية، وهذه الاخيرة ضلت متداولة إلى غاية العهد البيزنطي تتميز بتشابك خطوطها، واخر نص كتب بها أرخ ب452 م، ولم يعثر على أي اثر كتابي فرعوني بعد ذلك الزمن ، لكن من المفترضان الناس ضلوا يكتبون بها على اوراق البردي فترة بد ذلك ، وقد ظلت الكتابات واللغة الفرعونية غير معروفة للناس لمدة تزيد عن 1370 عام ، حتى تمكن شامبليون من فك رموزها بعد اكتشاف حجر الرشيد.

ووفق ما نقل لنا "مانتون" فإن الاسرة الثانية تتكون من تسعة ملوك أولهم "حتب سخموي" والكلمة تعني القوتان تهدآن وقد يرمز ذلك إلى الاله حورس والإله ست والمقصود أتباعهما وهو ما يعني حدوث نزاع ديني في البلاد، ثم تولى بعده" رع نب " ثم " ني نتر"، ثم تولى "سخم اب" الذي انقلب عن عبادة حورس الى الاله ست، وحكم بعده "سنج ونثركا " و"نفركارع "، ثم حكم ثلاثة ملوك آخرين هم " يري اب سن " وخع سخم " و خع سخموي " وقد انقلب هؤلاء الملوك على عبادة الاله حورس وفضلوا عليه الاله ست كما نقلوا عاصمتهم إلى القلعة البيضاء وهي منف وقد يكون ملوك هذه الاسرة من الصعيد.

يطلق المؤرخون على عصر الدولة القديمة اسم "عصر بناة الأهرام"، إشارة إلى تلك الأهرامات الضخمة التى بنيت فى الصحراء عن يمين وادي النيل، وهي تمتد من إقليم الفيوم جنوباً إلى الجيزة شمالاً، وترجع فكرة بناء الأهرامات إلى اعتقاد المصريين القدماء في خلود الروح، والبعث مرة أخرى وبوجود حياة أبدية، لهذا بنى المصريون القدماء مقبرة حصينة توضع فيها الجثة بعد تحنيطها، وتزود بمجموعة كاملة من حاجيات الميت كالأدوات وقطع الأثاث وأنواع الأطعمة والشراب التي كان يستعملها في حياته، حتى إذا ما جاءت الروح وحلت فى الجثة، عاد الإنسان إلى حياته الأبدية، ونقشت جدران المقبرة بالمناظر المعتادة في الحياة لتدخل السرور على الميت.

- **الأسرة الأولى والثانية** : تعرف بالأسر "الثينية" نسبة إلى مدينة " ثيس"لان معظم الملوك لهذه الأسر يعود أصلهم إلى هذه المدينة، وهم خلفاء نعرمر، من بين هؤلاء الملك حور أحا "، وقد قام ملوك الأسرة الأولى والثانية بمجهدات جبارة في الحفاظ على وحدة مصر والتصدي لمحاولات الانفصال في الشمال.

2-عصر الدولة القديمة : 2686- 2181 ق.م:

وهو العصر الذي يطلق عليه عصر بناة الأهرام يعرف ايضا بالعصور المنفية لأن مدينة منف ضلت طيلة تلك الفترة عاصمة للبلاد، ولا يعرف كيف انتقل الملك من الاسرة الثانية إلى الثالث حيث أن "مانيتون" يذكر أن "خع سخموي" اخر ملوك

الاسر الثانية مات ميتة طبيعية، لكن في تبت الملوك يظهر اسم الملك " نب كا سا انخت" ثم يليه "جسر نترخت" وهو الملك زوسر الذي له صلة قرابة بالملك خغ سخموي حيث أن والدته "ني ماعت حب" هي زوجة للملك مما يعني أنه ابنه لكن تلك الزوجة قد لا تكون شرعية حيث انها لم تتخذ لقب "أم أبناء الملك".

- **الأسرة الثالثة:** 2686 -2613 ق.م:

يعتبر الملك زوسر هو مؤسس الأسرة الثالثة، وهو صاحب القبر العظيم في "سقارة" المعروف باسم "الهرم المدرج"، وقد اتخذ مدينة "منف" عاصمة للبلاد، واهتم باستخراج النحاس من سيناء، ومد حدود البلاد جنوباً إلى ما بعد الشلال الأول بعد أن بسط نفوذه على بلاد النوبيين.

وهرم زوسر هو أول بناء حجري ضخم عرفه التاريخ، يتكون من ست مصاطب شيدت فوق بعضها، مكسوة كلها بالحجر الجيرى الأبيض ومحاط بسور ضخم، يبلغ ارتفاع الهرم المدرج حوالي 60 م، وفى عهد الملك "زوسر" ظهر أحد العلماء المصريين الذين تركوا آثاراً بارزة في تاريخ مصر وحضارتها، هو الوزير "إيمحوتب"، وإليه يرجع الفضل في تصميم هرم سقارة المدرج وتنفيذه، وكان "إيمحوتب" كاهن الملك ووزيره وبناءه وأول الحكماء والعلماء والأطباء.

وقد ضل زوسر في أذهان المصريين فترة طويلة حيث خلده نقش في أسوان يعود إلى عهد الملك بطليموس العاشر، ويعتقد ان الملك قد بنى مقبرته الاولى في شكل مصطبة في أبيدوس، أما مقبرته الثانية التي اتخذت شكل الهرم المدرج فقد كلف الكاهن "أيمحوتب" ببنائها، ونشير إلى أن الملك زوسر كان هو أعظم ملوك هذه الاسرة وقد حكم بعده ثلاثة ملوك هم على التوالي : "سخم خت" ، "خع با" ، " جوني".

- **الأسرة الرابعة : 2613- 2480 ق.م**

يعد الملك "سنفرو" مؤسس الأسرة الرابعة، وقد استمر فى اتخاذ "منف" عاصمة للبلاد، كما كانت أيامها أيام سلام و رخاء، اشتهر "سنفرو" بالإصلاح والقوة، ومن أهم أعماله إرسال أسطول بحري إلى فينيقيا على ساحل بلاد الشام (لبنان حالياً)

لإحضار خشب الأرز لاستخدامه فى بناء السفن وعمل أبواب القصور، و شيد لنفسه هرمين بـ"دهشور" جنوب "سقارة"، كما عمل على تأمين حدود مصر الشرقية والجنوبية.

ورغم اهتمام سنفرو بالعمران إلا أنه لم يهمل تأمين حدود البلاد فقد شن حملة على النوبة وأخرى على ليبيا وشن حملات على سيناء لتأديب البدو ولجلب النحاس ، وأرسل 40 سفينة لجلب خشب الارز من فنيقيا وذلك لكونه يستخدم في صنع القوارب المقدسة والأثاث الفاخر.

-الملك خوفو :

وهو أحد ملوك الأسرة الرابعة، ترتبط شهرته بهرمه الأكبر الذي يعتبر أحد عجائب الدنيا السبع لضخامة بنائه، وروعة منظره، وجمال هندسته، وبراعة تصميمه، ويبلغ ارتفاع الهرم الأكبر حوالي 137 متراً، وعدد أحجاره نحو 2,300,000 حجر، فهو بذلك أضخم بناء قديم أقيم على وجه الأرض ويرى المؤرخ الإغريقي "هيرودوت" أن بناء هذا الهرم استغرق عشرين عاماً.

ورغم أن هذا الملك اهتم بالجانب العمراني الا أنه لم يهمل حماية الحدود فقد شن حملات على النوبة ، وكذلك شجع التجارة وكانت له علاقات مع بيلوس وهي جبيل في فينقيا حيث وجد معبد هناك به نقوش تحمل اسم خوفو، وقد بنى تمثال ابي الهول الذي يكرس عبادة الاله حورس، وقد شيد خلفاء خوفو وهم كل من خفرع و منكاورع هرمين أقل حجماً من الهرم الأكبر وتابعو سياسته في التوسع جنوبا في اقليم النوبة السفلى.

الأسرة الخامسة : 2494-2345 ق.م

لا يعرف بالضبط كيف سقطت الاسرة الرابعة حيث أن اخر ملكها هو الملك شبسكاف بن منكاورع الذي تابع بناء هرم ابيه ، ولم يبنى لنفسه هرما بل بنى مقبرة في شكل مصطبة وتزوج اخته "خنت كاوس" التي كانت ملكة معه، فقد لقبت ب ملكة الصعيد والدلتا وام ملك مصر السفلى والعليا وابنة الالهة، وقد خلف الملك بعد

وفاته مدة غير معروفة من الزمن.

وفي نهاية عهد الاسرة الرابعة أزداد نفوذ كهنة رع الذين اصبحوا يتخلون في شؤون البلاد ويسيطرون عليها ، وفي الاخير استطاع كهنة الإله "رع" بمدينة "عين شمس" (هليوبوليس الحالية) إسقاط الأسرة الرابعة، وتولية أحد رجالهم وهو "أوسر كاف" الحكم.

ويعتبر الملك "اوسركاف" هو حفيد الملك "جدف رع" الذي كان كاهن اعظم في هيليوبولس قبل أن يجلس على العرس بعد زواجه من الملكة "خنت كاوس" التي تحمل حق وراثة العرش، وبذلك تأسست أسرة جديدة هي الاسرة الخامسة التي تتكون من 10 ملوك هم على التوالى: "أوسركاف" ،" ساحورع" ، "نفراير كارع" ، "شبسكاف" ، "نفر اير كارع" ، "ني وسر رع" ، "من كاو حور"، "جد كارع اسسي"، "اوناس".

ويعد الملك ساحورع هو أهم الملوك وأقواهم فقد أرسل حملات إلى النوبة إلى ليبيا ، فقد وجد نقش يحمل اسمه في بيبلوس بفينيقيا، كما شن حملات على ليبيا وعلى سيناء ، وتذكر نصوص معبد ساحورع في أبو صير ارساله لأسطول إلى فينيقيا، وقد جلب قائد الاسطول احدى الاميرات الاسيرات والتي تزوجها ساحورع ، كما أرسل بعثات تجارية إلى ارض بونت وهي الصومال لجلب البخور والذهب والأبنوس، ويعد الملك اوناس اخر الملوك في هذه الاسرة حكم 30عام وبنى هرما بلغ ارتفاعه 44 م وطول قاعته المربعة 67 متر.

وبشكل عام يمكن القول أن ملوك الأسرة الخامسة كانت البلاد في عهده قوية ومهابة الجانب ، وكانت مزدهرة تعكسها النصوص الكثيرة التي تعود إلى هذا العصر مما يدل على تطور الأدب وفي ذلك الوقت ظهر نفوذ لعض الاشراف الذي بدأ يطغى على سلطة الملك ومن هؤلاء الاشراف "تي "، و" بنتاح " قد اهتموا ببناء المسلات الضخمة التي ترمز لإله الشمس "رع"، كما أقاموا المعابد التي سميت معابد الشمس، ويوجد معظمها في "أبى صير" و"دهشور" بمحافظة الجيزة.

- **الأسرة السادسة:** 2345- 2181 ق.م :

انتقل الحكم من الاسرة الخامسة الى السادسة بشكل سلمي حيث أن الملك "اونيس" لم يترك اولاد ذكور، فانتقل الحكم إلى الملك "تيتي" أول ملوك الاسرة السادسة بعد زواجه من الأميرة "ابوت " ابنة الملك اونيس، وقد حكم في هذه الاسرة 7 ملوك، هم على التوالي : تيتي ، وسكارع، بيبي الاول الذي حكم 30 عاما، ثم مرنرع الاول، بيبي الثاني الذي حكم 93 عام وهو أطول الحكام حكما في تاريخ مصر، ثم حكم بعد مرنرع الذي حكم سنة واحدة، ثم الملكة نيتوكريس التي حكمت لمدة عامين، ثم سقطت هذه الاسرة .

واصل حكام الاسرة السادسة توسعاتهم في الجنوب وقد اوكلوا مهمة جلب البضائع واستكشاف المناطق الجنوبية إلى امراء جزيرة ألفونتين وهي اسوان حاليا، وفي ذلك العهد قام حرخوف وهو أحد امراءها بثلاث حملات استكشافية في افريقيا جلب في احداها اقزاما وذلك في عهد الملك "نتري ان رع" وفي عهد الملك "بيبي الثاني".

وكانت نصوص "وني" وهو حاكم الوجه القبلي قد ذكرت قيام هذا الحاكم بإرسال سفارات على زعماء النوبة الذين كانوا يرسلون اتباعهم كمتطوعين في جيوش الملك في غزوه لفلسطين، وقد ذكرت تلك النصوص أن ملوك الأسرة السادسة قد شنوا حملات على شعب أسيوي يدعى "الحريوشع".

وقد عاشت مصر فى عهد الدولة القديمة قوية متحدة متماسكة لفترة طويلة، إلى أن دب فيها الضعف وقلت هيبة ملوكها، وبدأت تزداد سلطة حكام الأقاليم خاصة فى الأسرة السادسة، وانتهز حكام الأقاليم فرصة ضعف الملوك فأخذوا يعملون على تركيز السلطة في أيديهم والاستقلال بحكم أقاليمهم ومحاولة الانفصال عن الفرعون، وهو ما أدى إلى تدهور أحوال مصر وانتشرت الفوضى في كل مكان، حدث ذلك فى عهد الملك "بيبى الثانى" الذي حكم البلاد حوالي قرن من الزمان، وبعد وفاته بمدة قصيرة سقطت الأسرة السادسة وانتهى عهد الدولة القديمة.